سفارة ديمتريوس ماكريمبوليتس وألكسندر من جرافينا إلى الملك الألمانى كونراد الثالث عام ١١٤٧م فى ضوء رواية أودو أوف دويل

د. نجلاء حسين محمد توفيق (*)

مقدمة:

تعد رواية المؤرخ الفرنسى أودو أوف دويل Odo of Deuil أحد أهم الروايات التى أشارت إلى سفارة ديمتريوس ماكريمبوليتس Demetrios Mkrembolite، وألكسندر من جرافينا Alexandre de Gravina والتى وجهها الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين Manuel 1 Comnenus(١١٤٣-١١٨٠م)(١) إلى الملك الألمانى كونراد الثالث Conrad

(*) مدرس تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب- جامعة أسيوط.

(١) مانويل الأول كومنين Manuel 1 Comnenus: ولد مانويل حوالي عام ١١٢٠م من أم مجرية الأصل ويعد الابن الرابع للإمبراطور يوحنا كومنين John Comnenus (١١١٨ - ١١٤٣م) (ألكسيوس مات في أضاليا عام ١١٤٢ م، أندرونيكوس Andronicos مات على ظهر السفينة التي كانت تقل جثمان أخيه إلى القسطنطينية، ثم إسحق Issac)، وقد تولى مانويل حكم الإمبراطورية البيزنطية عقب وفاة أبيه يوحنا إثر أصابته بسهم مسموم أثناء رحلة صيد بقليقية عام ١١٤٣م. وصف مانويل بأنه كان ذا شخصية جذابة طويل القامة، قمحي اللون له هيبة ووقار، قوي البنية محبًا للفروسية والصيد -صبوراً جلداً في الحرب- وللثقافة والفنون والعلوم والمناقشات الفلسفية واللاهوتية تزوج مرتين الأولى من برثا سالزباخ Bertha Saulzbach الألمانية والثانية من ماري Marie الأنطاكية النورمانية، خاض العديد من المعارك والحروب في الشرق ضد المسلمين والغرب ضد الصرب والمجريين، وشهد عصره أحداث حملة صليبية جديدة قادها أقوى ملوك أوربا آنذاك كونراد الثالث Conrad 111 ولويس السابع Louis V11. عنه وعلاقاته السياسية والعسكرية. انظر :

Kinnamos (John); Deeds of John and Manuel Commenus, Trans by: Charles (M.Brand) (New York, 1976)., pp.82 FF.

وانظر الترجمة العربية: يوحنا كيناموس، مصدر سابق، ص ١٢٠ وما يليها.

CF: Otto of Freising; "The Deeds of Frederick Barbarossa, Trans (by): Charles (Christopher Mierow) (New York, 1953)., pp. 168FF; Choniates (Niketas); O City of Byzantium Annals of Niketas Choniates, Trans by: Harry (J.Magoulias) (Detroit, 1984). pp. 29FF; Stephenson (paul); "Manuel 1 Comnenus and Gesa 11: Arevised context and Chronology of Hungro-Byzantine relations, 1148-1155" Byzantionslavica Byzantines, Vol. 55, part.2 (prague, 1994)

III عام ١١٤٧م خاصة وأن هذه السفارة عكست فى حقيقتها طبيعة العلاقة التى ربطت بين الألمان والبيزنطيين على أرض البلقان، سواء أكانت دبلوماسية من خلال المراسلات والاتفاقيات أو عسكرية؛ نتيجة لتصدع تلك العلاقة، وأثر ذلك على الجانبين. ريثما أن الغرض من هذه السفارة كان التعرف على نوايا الألمان تجاه بيزنطة، وما إذا كان التحرك الألمانى عبر الأراضى البيزنطية فى البلقان بهدف المرور ناحية الشرق فيما عرف بالحملة الصليبية الثانية أم إحداث الشغب والإضرار بالشعب البيزنطى(٢).

وبرغم أن أودو أوف دويل Odo of Deuil عمل سكرتيراً وواعظاً للملك الفرنسي لويس السابع Louis V1 (١١٣٧-١١٨٠م)(٣) أثناء حملته على

---

pp.251-278.; Lilie (Ralph. Johannes); "Manuel 1 Komnenos und Friedrich 1 Barbarossa die deutsche und die Byzantinische Italienpolitik wahvend der Zweiten halfte des 12 Jahrhunderts in der neuren Literatur" in: Fortsetzung des Jahrbuch der Osterreichischen Byzantinistik, 42. Band (Wien, 1992)pp. 157-170. ; Urbansky (Andrew B.); Byzantium and the danube Forntier astudy of the relations between Byzantium Hungary and the Balkans during the period of the Comneni (New York, 1968) pp. 51 FF.;Browning (R,);"Anew source on Byzantine-Hungarian relations in the twelfth century" in: studies on Byzantine History, Literature and Education (London, 1977) pp. 179 FF.

(٢) يوحنا كيناموس، مصدر سابق، ص ٨٠.

(٣) لويس السابع Louis V11: يعد من أهم حكام العرش الفرنسي، والابن الثاني للعاهل الفرنسي لويس السادس Louis V1 (١١٠٨ - ١١٣٧م) وأمه كانت أدلياد Adlyad ابنه هيومبرت الثاني Humpirt 11 صاحب مورين Moren، وأخت البابا كلستين الثاني Klsten 11 (١١٤٣ - ١١٤٤م) وقد ولد لويس السابع عام ١١٢١م، وأصبح في عام ١١٣١م وصيًا على العرش الفرنسي بعد وفاه أخيه الأكبر فيليب Phillip - واستمر حكمه للبلاد منذ وفاة والده عام ١١٣٧ م وحتى ١٨ سبتمبر عام ١١٨٠ م. عنه انظر:

Otto of Freising; "The Deeds, p.70.

وانظر الترجمة العربية: أوتو أوف فريزنغ، "أعمال فردريك بربروسا" فى كتاب: سهيل ذكار، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م) ج٢٩، ص ٣٤٥؛ أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣٠٣ هامش ١.

CF :"Pope Eugenius 111, writing to king louis V11 of Franc and his subjects, Proclaims the second crusade on God's behalf (Quantum Praedecessores). 1,March 1146" in: Smith (Jonathan Riley) and Louis; The crusades; pp.57-59. ; Grousset(Rene);Histoire. Vol.2,P. 633. ; Thompson (James. W); The Middle Ages 300-1500 (London, 1935) Vol.1; P.578. ;

الشرق، إلا أنه لا يُعرف شيئاً عن تاريخ ميلاده أو حياته المبكرة، سوى أنه كان راهباً في دير القديس دنيس St. Denis الواقع شمال مدينة باريس، ويبدو أن البعض نظر إليه على أنه الشخص المنتظر ليخلف رئيس الدير "سوجير" Suger([٤]) في منصبه، ومن ثم فقد تولى بعض الأعمال المهمة داخل الدير[٥]، وكان الملك لويس السابع Louis VII قد اصطحبه معه في حملته، وعاد إلى بلاده عام ١١٤٩م، ثم ما لبث أن عين رئيساً لدير القديس دنيس St. Denis في عام ١١٥٢م وظل في هذا المنصب طوال حياته.

وقد ذكر أودو أن الهدف من قيامه بتدوين أخبار هذه الحملة- والتى أسماها "حملة لويس السابع إلى الشرق De Profectione Ludovici V11 in Orientem" هو إعجابه الشديد بالملك الفرنسي لويس السابع ورغبته في الاعتراف بفضله، وليظهر لشعبه سوء الحظ والصعوبات التي واجهها الفرنسيون أثناء حملتهم ليتفادوها إذا ما رغبوا في القيام برحلة إلى الشرق في المستقبل[٦].

وما كتبه أودو عن الحملة يبدأ منذ أن كانت فكرة وما تلي ذلك من أحداث كالإعلان عنها والدعوة لها وإعداد القوات ومسيرتها من فرنسا في طريقها إلى

Stephenson (Carl) and Lyon (Bryce D.): Medieval institutions selected Essays (New York, 1954)p. 14.

([٤]) سوجر Suger : كان ينتمي إلى أسرة ريفية فقيرة ، تلقي تعليمه الأول في دير سانت دنيس St. Denis بعدها أصبح رئيسًا لنفس الدير الذي تلقى فيه تعليمه، ولكفاءة سوجر وبراعته في شئون الإدارة فقد نال منصب المستشار الأول للملك الفرنسي لويس السادس Louis V1، ووريث ملكه لويس السابع Louis V11 من بعده، وبفضل ما تمتع به هذا الرجل من سياسة حكيمة استطاع لويس السادس أن ينتهج سياسة أكثر فاعلية تجاه أعدائه من الإقطاعيين والبارونات واللصوص في المنطقة الفرنسية، وبذلك أرسى قواعد ثابتة وآمنة للعمليات العسكرية التي قام بها خلفاءه من بعده ، وقد عين نائبًا عن الملك لويس في حكم فرنسا، وكانت وفاته عام ١١٥٢ م. عنه انظر: أودو أوف دويل، كتاب رحلة لويس السابع، ص ٢٩٦ هامش ١.

CF: Milman (Henry, Hart) ; History of Latin Christianity, including that of the popes to the pantificate of Nicolas (London 1857) p.290. ; Guinle (J.); Les Souverains de La France (Larousse, 1997)P.65.

([٥]) Odo of Deuil; De Profectione Ludovici V11 in Orientem, Trans (by) Berry (Virginia: G) (Newyork, 1947) pp. 14- 15.

([٦]) Odo of Deuil; De Profectione , pp. 14- 15.

آسيا الصغرى. ومن الملاحظ أن رواية أودو أوف دويل لم تقتصر فقط على سرد الحملة الفرنسية، لكنه تعرض أيضًا للحملة الألمانية، وألقى الضوء على تلك العلاقة التى ربطت بين الألمان والبيزنطيين على أرض البلقان، سواء كانت سياسية أو عسكرية – كما سبق القول- .

وتكمن أهمية روايته فى أنه كان شاهد عيان ومعاصر لتلك الأحداث، ونتيجة لقربه من الملك الفرنسى فقد كان لديه الفرصة الطيبة للحصول على المعلومات مباشرة، وأتاح له أيضًا أن يحضر المجالس التى تعقد بين الملك وقادته، والتى كانت تتخذ فيها القرارات المصيرية بالنسبة لسير الحملة، كما تيسر له الاطلاع على الخطابات والسفارات التى كانت تأتى إلى المعسكر الملكى، وسماعه للمناقشات الشفوية لهؤلاء السفراء، أو حتى سماع الأخبار عن الحملة الألمانية ومسيرها داخل الأراضى البيزنطية فى البلقان. وكان من جملة تلك الأخبار التى رواها أودو أوف دويلOdo of Deuil ، سفارة ديمتريوس ماكريمبوليتس Demetrios Mkrembolite وألكسندر من جرافينا Alexandre de Gravina إلى الملك الألمانى كونراد الثالث عام ١١٤٧م والتى جاءت من قبل الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين Manuel 1 Comnenus.

وقد يسأل البعض عن دوافع أودو أوف دويل لذكره تلك السفارة؟ والأثر الذى ترتبت عليه فى تحول العلاقة بين الألمان والبيزنطيين؟!

يبدو أن اهتمام أودو أوف دويل بالعلاقة بين الألمان والبيزنطيين جاء نتيجة عدة عوامل:

- أولاً: أن موعد تحرك الحملة الألمانية عبر الأراضى البيزنطية فى البلقان متجه إلى الشرق تزامن مع نفس موعد تحرك الحملة الفرنسية، وهذا من شأنه أن يجعل الأحداث متشابهة، ووقت وقوعها يعتبر واحد، وهذا ما أكده أودو أوف دويل نفسه، حيث قال: "فالكثير من الأحداث تقع فى وقت واحد، غير أنه ينبغى على المرء أن يراعى تتابعها أثناء معالجتها أو حين التحدث عنها(٧).

(٧) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٤.

-ثانيًا: أن ديمتريوس ماكريمبوليتس Demetrios Mkrembolite وألكسندر من جرافينا Alexandre de Gravina كانا هما نفس السفيران اللذان أرسلهما الإمبراطور مانويل الأول كومنين إلى الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII بنفس نص الرسالة التى تم تبليغها أيضًا إلى ملك الألمان كونراد الثالث؛ لأخذ العهود والمواثيق المغلظة عليهما بعدم الاضرار بالشعب البيزنطى، ولضمان سلامة المرور عبر الأراضى البيزنطية فى البلقان، وفى المقابل يتعهد الإمبراطور البيزنطى باتاحة الأسواق للبيع والشراء، وتوفير من السبل ما يساعد على سهولة المرور عبر أراضيه(٨).

-ثالثًا: إعجاب أودو أوف دويل بالملك الألمانى، الذى اعتبره مساوى لسيده الملك الفرنسى لويس السابع من حيث الحنكة والخبرة، حيث كتب يقول: "فقد تبادر كل من الملك(يقصد لويس السابع) والإمبراطور(يقصد كونراد الثالث) لذهنى.. ذلك أنه على الرغم من أن الملك هو موضوع كتابى الرئيسى، أجد نفسى مرغمًا بفعل خبرتهما المتبادلة، أن أضمن كتابى بضعة كلمات عن الإمبراطور"(٩).

وفى موضع آخر يمتدح شجاعته فيقول: "وهكذا فقد دخل هذا الإمبراطور الشجاع، الذى كان يتحلى بمعنويات عالية، كونه كان بحارًا وجندى مشاة.. إلى أراضى هنغاريا(المجر).. وصار سيدًا وأميرًا"(١٠).

لكن وقبل الحديث عن هذه السفارة، وما ترتب عليها من أثار فى تحول العلاقة بين الألمان والبيزنطيين من الدبلوماسية إلى التدخل العسكرى، نود الإشارة بداية إلى أن الدافع وراء قيام العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين الألمانية والبيزنطية عام ١١٤٧م هو رغبة الملك الألمانى كونراد الثالث العبور من خلال الأراضى البيزنطية فى البلقان متجهًا ناحية الأراضى المقدسة، خاصةً بعد ما سمع أهل الغرب الأوربي عن دوي استغاثة من صليبيي الشرق الإسلامي،

(٨) نفسه، ص ٣١٠-٣١١.
(٩) نفسه، ص ٣١٤.
(١٠) نفسه ، ص ٣١٥.

ينادي بإنقاذ الرها التي عادت لأحضان الكيان الإسلامي والمسلمين مرة أخرى في ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م(١١).

وما باتت تلك الصرخات تتنامى إلى أذني البابا أيوجنيوس الثالث Eugenius 111(١٢) (١١٤٥ــ ١١٥٣م)، والقديس برنارد رئيس دير كليرفوSt. Bernard of Clairvaux (١٣) (١٠٩١ -١١٥٥م)، حتى هبوا

---

(١١) "Summons of Pope Eugene 111 to acrusade (1145 A. D): in: Henderson (Ernest); Select Historical Documents of the Middle Ages (london, 1916)pp.333-335.

؛ أودو أوف دويل، كتاب رحلة لويس السابع، ص ٢٩٥.

CF: Röhricht (Reinhold); Geschichte des Konigrichs Jerusalem (1100-1291) (Innsbruch, 1898) pp. 333-336. ; Hussey (Joan M.); "Byzantium and the Crusades 1081-1204" in: Ahistory of the Crusades, (ed) by: Setton (K.) (philadelphia, 1962) Vol.2, p.134. ; Smail (R.C); Crusading Warfare (1097-1193) (Cambridge, 1956) p.51. ; Tyerman (Christopher); The invention of the crusades (London, 1998), p.8.

(١٢) البابا أيوجنيوس الثالث " Eugenius III ": ولد بمدينة بيزا Pisa، وكان اسمه الحقيقي هو برناردو بيجناتيلي Bernardo pignatelli، وقد بدأ حياته مقدماً على الرهبان السسترشيان، ثم مسئولاً فعلياً عن دير القديس زينو St. Zeno في بيزا عام ١١٢٨ م، والدائرة الأسقفية بنفس المدينة عام ١١٣٠ م، وفي ١٥ فبراير عام ١١٤٥م، انتخب برئاسة الكرسي البابوي بعد وفاة البابا لوكيوس الثانيLucius II (١١٤٤ -١١٤٥ م)، للمزيد عنه انظر :

Odo of Deuil; De Profectione Ludovici V11 P.8.

وانظر : الترجمة العربية : أودو أوف دويل، المصدر السابق، ص ٢٩٦ هامش ٢.

Taylor (Pegatha Jean); Saint Bernard of Clairvaux and the west Slavic Crusade the formation of Missionary and Crusader Ideals on the German-Slavic Border. Adissertation submitted in Partial satisfaction of the requirements for the degree of doctor of philosophy in History in the Granduate Division of the university of calif ornia, Berkeley. Spring, 1999,p.102.

CF: Kelly (J.N.D); óxford dictionary of popes (Oxford, 1967) pp. 172-173.

(١٣) القديس برنارد St. Bernard : ولد بمدينة ديجون Dijon الفرنسية عام ١٠٩١م، ودخل الحياة الديرية منذ نعومة أظافره حتى تولى رئاسة دير كليرفو Clairvaux في شمال شرق فرنسا عام ١١١٥ م، وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره ، وظل أربعين عامًا مدة توليته رئاسة الدير يسيطر على الحياة الدينية والسياسية في غرب أوربا، حتى أنه أصبح الزعيم الديني للكنيسة الغربية في القرن الثاني عشر الميلادي . انظر:

Otto of Freising; The deeds , p.70.

ثائرين مطالبين أهل الغرب الأوربي وكذلك الملوك والأمراء للقيام بحملة صليبية جديدة لعلها تعيد المجد الصليبي الغابر- على حد زعمهم(١٤)- وقد تحمس لهذه الحملة الملك كونراد الثالث (١٥)، فاتخذ الطريق البري المار عبر الأراضي البيزنطية فى البلقان - والمسمى بطريق بلجراد Belgrade القسطنطينية- مسلكًا له وجيشه(١٦). ويبدو أن اتخاذه لهذا الطريق بالذات يعود إلى أنه كان أكثر أمنًا- من وجهة نظر كونراد(١٧)- ذلك للعلاقات الحميمة التي ربطت بينه وبين الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين من خلال رابطة الزواج التي

وانظر الترجمة العربية : أوتو الفريزي ، أعمال فردريك، ص ٣٤٥؛ أودو أوف دويل، المصدر السابق ، ص ٢٩٧ هامش ٢.

(١٤) أودو أوف دويل، المصدر السابق، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

CF:"Eugenius111 : Letter to Louis V11 " in : Jean (Michel) and Brial (Joseph) ; Recueil des historiens des gaules et de La France, Vol.15 (paris, 1968) pp.429-430. ; Otto of Freising; op. cit, pp.71-73. ;Smith (Jonathan Riley) and Louis; the crusades idea and reality, pp.57-59. CF: Lemerle (paul); Histoire de Byzance (paris,1943) p.105.

(١٥) جاءت مسألة تردد الملك الألماني كونراد الثالث Conrad III للقيام بحملة صليبية نحو بيت المقدس ، نتيجة لانشغاله بمحاربة عصاة روما المنشقين على البابا أيو جنيوس الثالث ، املاً في أن يحقق له البابا رغبته بتتويجه إمبراطوراً ، كما كان للسياسة التوسعية التي انتهجها روجر الثاني Roger11 النورماني ملك صقلية والحالة الاقتصادية السيئة والنزعات والصراع الدائر داخل الإمبراطورية الألمانية حول السلطة بين كونراد الثالث والبيت الولفي دور هام في تذبذب رأي كونراد إن كان سيشارك في الحملة الصليبية الثانية أم لا ، ويبدو أن مساعي القديس برنارد St.Bernard لدى كونراد دفعت الأخير إلى أن يعلن رفع راية الصليب بعد ما نصحه بأن مشاركته في الحرب الصليبية هي الطريقة الوحيدة لحل مشاكله الداخلية والوضع الاقتصادي المنهار والقضاء على المنازعات. انظر :

" letter of Bernard to Conrad 111, 1140" in : Thatcher (O.J) and Mcneal (E.H); A source Book;, pp.172-173, no-92 ; Hussey (Joan) Byzantium, p.135.

(١٦) أوتو الفريزي، أعمال فردريك بربروسا، ص ٣٥٥؛ يوحنا كيناموس ، مصدر سابق ، ص ٨٠؛ وليم الصورى، الحروب الصليبية (١٠٩٤ـ ١١٨٤م) ترجمة وتعليق حسن حبشى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م)، ج ٣، ص ٢٦٩.

CF: Dölger (Franz); regesten der Kaiserur Kunden des Ostromischen reiches Von 565-1453, Vol.1 Munchen und Berlin, 1924) p.65.

؛ محمد عدلي سليمان ، العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية وكل من الإمبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية (١١١٨ -١٢٠٤م) رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الزقازيق فرع بنها ، ٢٠٠٥م، ص ٣٥.

(١٧)محمد عدلى، نفس المرجع السابق، ص ٣٥ .

جمعت بين الأخير والأميرة برثاسالزباخ Bertha Saulzbach[١٨] شقيقة جيرترودزGertrodez[١٩] زوجة الملك كونراد الثالث، وهذا ما أشار إليه البعض بالقول: "ولما كان كونراد الثالث على صلة مصاهرة مع الإمبراطور مانويل، فقد أيد الرأي القائل باتخاذ الطريق البري إلى الشرق لكي يتمكن أكثر من الجنود، ويتحكم في الإشراف على حملته"[٢٠].

ويبدو أن الملك الألماني ظن أنه بهذه المصاهرة يستطيع هو وقواته السير مطلق اليدين على الأراضي البيزنطية فى البلقان، وسيحظى بالمؤن والتمويل اللازمين لرحلته- وربما تناسى كونراد معاناة الشعوب البيزنطية فى البلقان الذي

(١٨) كانت الأميرة الألمانية برثا سالزباخ Bertha Saulzbach قد حملت عند حضورها إلى البلاط البيزنطي اسم أيريني Iren (السلام)، ذلك لأن العرائس الأجنبيات كن يتخذن أسماء جديدة بمجيئهن للعيش في القسطنطينية، ومن هذه الأسماء أيريني الذي كان له شعبية خاصة والأكثر تفضيلا لدى أسرة كومنينوس. عنها انظر: يوحنا كيناموس، مصدر سابق، ص ٥٤، ١٩٩.

(١٩) ارتبط الألمان والبيزنطيون منذ عهد الملك الألماني لوثر الثاني Lother 11 (١١٢٥ - ١١٣٨م) بعلاقات ود وتحالف على إثر المعاهدة التي تمت بين الأخير ويوحنا الثاني كومنين John 11 Comnenus بين عامي (١١٣٥ - ١١٣٦م) ، وذلك لإقصاء روجر الثاني 11 Roger النورماني عن ملكه ، وقد توثقت هذه العلاقات بالزواج الذي تم في ٦ يناير عام ١١٤٦م بين الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين Manuel 1 Comnenus ، وشقيقة زوجة الملك كونراد الثالث Conrad 111 برثا سالزباخ Bertha Saulzbach إذ دعمت من الرباط بين الجانبين وزاد على ذلك الخطاب الذي وجه الملك كونراد الثالث إلى البيزنطي مانويل الأول عام ١١٤٢ م ، والذي تعهد فيه بأنه سيكون عوناً للإمبراطور البيزنطي في سلمه وفي حربه مع الأعداء. عن تلك الصلات والعلاقات. انظر :

"letter of Conrad 111 to the Greek Emperor John Comnenus, 1142" in: Thatcher (O.J) and Mcneal (E.H); Asource book, pp. 173-174, no.93.; Otto of Freising; op. cit pp. 55 op. 58. ; Kinnamos (John); op. cit, p.56. ; Lilie (Ralph- Johannes); Handel und politik Zwishen byzantinishen reich und den italienishen Kommunen Vendedig, pisa und Genoa inder epoch der Kommenen und der angeloi, 1081-1204 (Amsterdam, 1984) pp. 394-395.; Browning (R.); "The Death of John 11 Comnenus" Byzantion, Vol.31 (Bruxelles, 1961)pp.233-235. ;Wieruszowsk (Helen); "Roger 11 of Sicily Rex- Tyrannus in Twelfth Century political thought" Speculum, Vol.38 (America, 1963) p.61.; Magdolino (p.); The Empire of Manuel 1 Comnenos 1143-1180. (Cambridge, 1997) p.270.

(٢٠) عادل عبد الحافظ حمزة، العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م)، ص ٥٤ .

أثخنته الجراح؛ نتيجة لما حل بهم على يد الجماعات الصليبية التي مرت عبر بلادهم منذ عام ١٠٩٦م[٢١]- ولضمان ذلك فإنه كان لابد من تبادل السفارات الدبلوماسية بينه وبين الجالس على العرش البيزنطي الإمبراطور مانويل الأول Manuel 1 حتى يستكشف الأجواء عن مدى قابلية الأخير لمرور كونراد عبر الأراضي البيزنطية فى البلقان، وإمداده وجيشه بالمؤن وفتح الأسواق للتجارة. ويبدو أن هذا الأمر قد جعل الإمبراطور مانويل يستشيط غضباً وحكومته، إذ أن ذلك كان يعني مضاعفة في العبء الذي كانت الإمبراطورية لا بد وأن تثقل به أراضيها فى البلقان وبيزنطة أثناء مرور هؤلاء الألمان ثم الفرنسيين من بعدهم[٢٢]، ولكن الإمبراطور مانويل، عندما وجد أن مجيء الحملة الألمانية واقع لا مفر منه، فقد جاء رده على رسالة كونراد بأنه يرحب بقدوم الألمان بشرط أن يبتعدوا عن أي عمل من شأنه إيقاع الأذى أو الضرر به وشعبه سواء فى البلقان أو بيزنطة[٢٣].

وفي نهاية شهر مايو عام ١١٤٧م، تقدمت الفيالق الألمانية تحت قيادة الملك كونراد الثالث الذي كان عمره آنذاك قد تجاوز الخمسين عامًا[٢٤]، وضم الجيش الألماني حشدًا هائلاً من الفرسان المسلحين والذين يرتدون الدروع الحديدية

---

(٢١) Albert d' Aix, " Historia Hierosolymitana;" dans, Recueil des Historiens des croisades, Historiens – Occidentaux, T.4. (Paris, 1879). p. 274. ; Le Febvre (yves); Pierre l'ermite et la Croisade (Amiens, 1946).p.129; porges (Walter) ;"The clergy, the poor, and the noncombatants on the first Crusade" Speculum, vol. 21, no. 1 (America, 1946)P. 1 ; Hagenmeyer (H.); peter der Ermite (Leipzig, 1879) P. 137.

(٢٢) اسحق عبيد، روما، ص ١٨٨.

(٢٣) Choniates (Nicetas); op. cit, p. 36.

(٢٤) Otto of Freising; op.cit,p.79. وانظر الترجمة العربية : أوتو أوف فريزنغ، أعمال فردريك، ص ٣٥٥ ؛ أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٤- ٣١٥؛ وليم الصوري، الحروب، ج ٣، ص ٢٦٩.

CF: Dölger (Franz); op.cit. Vol.1, P.65.

؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، وقائع سنه ٤٩٥- ٥٨٩ هـ (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، ١٩٥١م) القسم الأول من الجزء الثاني، ط١، ص ١٩٦- ١٩٧.

إلى جانب عدد وفيرٍ من الخيالة الخفيفة التسليح[٢٥] والحجاج والنساء والأطفال واللصوص والمجرمين[٢٦]، وقد قدرت هذه الأعداد بنحو سبعين ألفًا[٢٧].

وعلى هذا فقد اجتاز الملك كونراد Conrad بجيشه أراضي استريا (النمسا)، ومنها نزل بالمملكة المجرية، التي حظى فيها بحسن الاستقبال والسلام من جانب العاهل المجري جيزا الثاني Geiza 11 (١١٤١- ١١٦٢م) وشعبه[٢٨].

([٢٥]) كان من بين هؤلاء الفرسان الأسقف أوتو الفريزي Otto of Freising ، وفردريك دوق سوابيا Frederick of Swabia ابن أخي الملك كونراد الثالث Conrad111 والمعروف باسم فردريك الأول بربروسا Frederick 1 Barbarossa وريث ملكه ، والذي تزعم النبلاء الألمان ، هذا بالإضافة إلى هنرى دوق النمسا Henry of Austria ، وولف السادس Welf V1 ، وهرمان حاكم باد Herman of pad العسكري ، وهنري اسقف تول Henry of Toul ، وكتيبة من اللورين بقيادة ستيفن أسقف متز Stephen of Metz ، وليام مركيز دي مونتفرات William of Montfirat وسواهم من كبار البارونات هذا إلى جانب فلاد يسلاف ملك بوهيميا Vladislav of Bohemia ، وبوليسلاف الرابع Bolaslava 1V ملك بولندا. انظر: أودو أوف دويل، مصدر سابق ، ص ٣٢٧ هامش ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ .؛ يوحنا كيناموس، مصدر سابق ، ص ٨٠ .

CF:"St. Bernard to Duke and People of Bohemia, 1147" in Smith (Jonathan Riley) and louis, the crusade, pp.97-98. ; Mayer (H.E) The crusades, trans, by John (Gilligham,) (Oxford, 1991) p.100.

([٢٦]) Otto of Freising; op. cit, p.187.

؛ يوحنا كيناموس، مصدر سابق، ص ٨٠؛ وليم الصوري، الحروب ، ج ٣، ص ٢٧

([٢٧]) بالغ المؤرخون كثيراً في تقدير أعداد الجيش الألماني إذ أحصاهم يوحنا كيناموس Kinnamos (John) بـ ٩٠ ألفاً، ووليم الصوري عدهم بـ ٧٠ ألفا ، ويبدو أن هذه الأعداد مبالغ فيها، ولعل كيناموس نظر إلى هؤلاء الألمان على أنهم قادمون لغزو بلاده، ولهذا بالغ في تقدير أعدادهم. عن ذلك انظر: يوحنا كيناموس، مصدر سابق ، ص ٨٢؛ وليم الصوري، الحروب، ج ٣، ص ٢٧١.

([٢٨])عن حملة الملك الألماني كونراد الثالث Conrad 111 بالأراضي المجرية . انظر:

Odo of Deuil; op. cit; pp. 31-32;

وانظر الترجمة العربية: أودو أوف دويل، مصدر سابق ، ص ٣١٥ -٣١٦، هامش ٢.

CF: otto of Freising; op. cit, pp. 65-66.

؛ وليم الصوري ، الحروب، ج٣ ، ص ٢٦٩ .

CF: Makk (Ferenc) ; The Arpads and the comneni political relation between hungary and byzantium in the 12th century (Budapest, 1989) pp.38-39. ; Balzani (U Go); " Italy 1125-1152" in : The Cambridge Medieval History (Cambridge, 1979) Vol.5, p.352.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول Manuel I عندما علم بوصول القوات الألمانية إلى أرض مملكة المجر، واقترابها من الحدود البيزنطية([٢٩])، أمر بتسليح قواته المرابطة على الحدود بين المجر وبلغاريا، وتقويتها بالجياد السريعة، وأشعل الحماس فيها بتوزيع الأموال عليهم، وقسم قواته إلى قسمين، خصص الأول للدفاع عن العاصمة الإمبراطورية، والثاني حدد مهمته وهي تتبع الألمان خلال سيرهم عبر أراضيه، ومنعهم من القيام بأعمال من شأنها أن تؤدي إلى الوقيعة وتخريب بلاده(٣٠). وحرصًا منه على تنفيذ ذلك، فإنه أرسل من قبله رسولين في يوليو عام ١١٤٧م([٣١]) هما ديمتريوس ماكريمبوليتس DemetriosMkrembolites، وألكسندر من جرافينا Alexandre de Gravina ليتعرفا على نوايا الألمان وملكهم وإن كان قد أتى صديق أم عدو يفسد عليهم حياتهم([٣٢])، وليخبراه أنه لا يمكنه عبور الأراضي البيزنطية في البلقان دون أن يقسم على عدم الإضرار بأمن الإمبراطورية وسلامتها([٣٣]). وقبل الحديث عن هذه السفارة ومهام سفراءها لابد

([٢٩]) Choniates (Nicetas); op. cit p.36.
؛ يوحنا كيناموس ، مصدر سابق ، ص ٨٠؛ أوتو أوف فريزنغ ، مصدر سابق ، ص ٣٥٦؛ روجر أوف ويندوفر، ورود التاريخ" الجزء الأول (١٠٩٩-١٢٠٠م) تأليف وتحقيق وترجمة سهيل ذكار، ضمن كتاب الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م) ج٤٤، ج١، ص ١٦٤.

([٣٠]) Choniates (Niketas). Op. Cit, pp. 32, 36.
; Kinnamos (John). Op. cit, pp. 38ff. Cf : Vasiliev (A.A); Histoire de L'empire Byzantine (1081-1453) (paris, 1932) Vol.2, p.59.

([٣١]) Kinnamos (John); Op.cit, pp. 38FF.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٠؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٨٨.

([٣٢]) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٠-٣١١.
Cf:Choniates (Nicetas); op. cit, P. 36.
; Kinnamos (John) ; op . cit, P. 59.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، مصدر سابق، ص ٨٠- ٨١؛ اسحق عبيد، روما ، ص ١٨٨ .

([٣٣]) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٠-٣١١.
Choniates (Nicetas); op. cit; P. 36.
; Kinnamos (John); op. cit, P. 59 .
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٠ - ٨١ .

أولاً من الإشارة إلى أعضاءها، وسبب اختيار الإمبراطور البيزنطى لهما تحديدًا ليقوما بهذه المهمة؟

- **أعضاء السفارة:**

ضمت السفارة التى أرسلها الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين Manuel 1 Comnenus إلى الملك الألمانى كونراد الثالث Conrad III شخصيتين مهمتين هما ديمتريوس ماكريمبوليتس DemetriosMkrembolites، وهو أحد رجال الدولة البيزنطية، ويبدو أنه كان من السفراء الذين حظوا بمكانة مهمة فى البلاط البيزنطى، غير أن المصادر لم تشر إلى حياته أو تعليمه والتعريف به، لكن تتضح أهميته من خلال اشتراكه فى السفارة التى كلفت بمقابلة الملك الألمانى، وربما لأنه كان يجيد الحديث بلغتهم، وهذا يدل على تعليمه الجيد وثقافته الواسعة.

أما الشخصية الثانية فكانت ألكسندر من جرافينا Alexandre de Gravina أو ألكسندر كونفرسانو كان كونتًا على المدينة الإيطالية جرافينا وهو من خلصاء الإمبراطور مانويل الأول كومنين، كان قد تمرد ضد سيده روجر الثاني Roger II ملك صقلية (١١٩٥-١١٥٤م) ، ومن ثم لجأ إلى بلاط الملك الألماني كونراد الثالث، فأوفده الأخير في مهمة دبلوماسية إلى القسطنطينية، غير أنه قرر البقاء في بيزنطة فعينة مانويل قائداً للجند المرتزقة النورمان الذين هم في خدمته. ولعل معرفته بالملك الألمانى، وتواجده فى بلاطه بعد هروبه من روجر الثانى كانت من الدوافع التى جعلت مانويل الأول يوكل إليه مهمة مقابلة ملكي ألمانيا وفرنسا القادمين على رأس الحملة الصليبية المعروفة بالثانية، كما أنه مثل الإمبراطور كذلك في المباحثات التي دارت بين الحين والآخر مع البندقية وانكونا Ancona، وألكسندر هو أيضًا الذي وقع تلك المعاهدة مع عمورى

Cf: Chalandon (F.) ; Jean II, P.270. ; Grousset (Réne) ; Histoire des Croisades et du royaume france de Jerusalem, 3 vols (Paris, 1935) vol.1.T.2, P. 23l.
;Berry (Virginia. G.); op. cit, P. 484.

الأول (١١٦٣-١١٧٤م) ملك بيت المقدس الصليبي والتي بمؤداها تقرر أول هجوم بيزنطي - صليبي على مصر عام ١١٦٦م(٣٤).

نص رسالة السفراء:

من الجدير بالذكر أن السفارة التى أرسلها الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول إلى الملك الألمانى كونراد الثالث لم تحمل إليه رسالة مكتوبة، ولكنها كانت رسالة شفهية جاءت على لسان السفيرين، وربما ذلك يفيد أن الإمبراطور البيزنطى كان حريصًا كل الحرص على علاقات الود والمصاهرة التى جمعت بين البيزنطيين والألمان لذلك أراد أن يجعل رسالته شفهية، وقد جاء في حديث السفيرين للملك الألماني كونراد Conrad ما نصه:

"إن إدارة حرب خفية ضد أولئك الذين لم يقترفوا ذنبًا، ليس من التقوى ولا هو بالأمر المناسب من حيث الاعتبارات الأخرى، لرجال رفيعى المنزلة وشديدى البأس؛ لإن المنتصرين سيضيعون انتصارهم هباء، فهم سوف يفوزون دون ابداء أى نوع من أنواع الشجاعة أو الغلبة، لأنهم سوف لا يعرضون أنفسهم للخطر من أجل إحراز النصر، لذلك لن يكونوا جديرين بالثناء"([٣٥]).

يتضح هنا من بداية حديث السفير البيزنطى، القلق الشديد من الألمان، لهذا يبدأ حديثه بالإطراء والمديح وكثرة التملق، ولعل هذا ما بينه أودو أوف دويل بالقول: "إن المتملقين .. مهما جهدوا لا يمكنهم أن يعادلوا الأغريق(البيزنطيين) حتى ولو رغبوا بذلك"([٣٦]).

بعد ذلك ينتقل السفيران محاولان التهديد والوعيد إذا ما رغب الألمان بإثارة القلاقل على الأراضى البيزنطية، فلن يتمكنوا من العبور عبر الأراضى البيزنطية، أما إذا كانوا حسنيِ النية، فلابد لهم من أداء القسم ليثبتوا ذلك، وقد

---

(٣٤) يوحنا كيناموس، "أعمال يوحنا ومانويل كومينوس" فى كتاب: سهيل ذكار، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧م)، ج٢٩، ص ٨٠.

Cf: Chalandon (F); Jean ll Comneno (1118 – 1143) et Manuel 1 Comnene (1143 – 1180) (paris, 1912), P. 270.; Duggan (Alfred); The story of the crusades 1097-1291 (London, 1963), P. 111.

؛ إسحق عبيد تاوضروس، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين ٨٦٩-١٢٠٤م (القاهرة: ١٩٧٠م)، ١٧٩.

(٣٥) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٠.

(٣٦) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٠.

ذكر السفيران ما نصه: " إنه سوف يكون مستحيلاً عليكم عبور أرض الرومان(البيزنطيين) بدون إعطاء الإمبراطور أولاً ضمان بعدم اقتراف الأذى، إلا إذ حرفتم قسمكم، لماذا تشعلون الحرب سرًا؟ سيكون من الصعب عليكم قتال الرومان علانية، لكن سيكون أكثر صعوبة إذا أحنثتم فى ايمانكم وأشعلتم الحرب ضدهم سرًا، لأنكم فى هذه الحالة إنما تقاتلون الله وتقاتلون قوة الرومان. بالطبع إذا كانت صداقتكم صادقة وخالية من الرياء، ولا تكمن فيها خيانة ما، فإنكم سوف تؤكدون هذا الأمر بالقسم، وحينئذٍ ستعبرون أرض الإمبراطور العظيم كما لو كانت أرضًا صديقة، وبالتعقل والحكمة تستمعون بحسن الضيافة والكرم"([٣٧]).

ومن هنا يتضح مدى حرص الإمبراطور البيزنطي مانويل وسفرائه على أن يسلك الألمان مسلكاً فيه الحكمة والحذر من أية أعمال تصيب شعبه فى البلقان. وإذا كان الألمان وغيرهم من النظام بمكان بحيث أنهم يسيرون دون أن يصدر منهم ما يعرض بلاد الإمبراطور للسلب والنهب فإنهم سيحظون بكل ما يحتاجونه من المؤن بل وبكرم الضيافة والاستقبال سواء فى أرض البلقان أو بيزنطة([٣٨]).

غير أننا نلاحظ أن مقابلة السفارة البيزنطية للألمان على الحدود مع المجر لم يكن فقط لمجرد أخذ الضمان على العبور داخل الأراضى البيزنطية، وإنما هناك شرطان أساسيان ذكرهما أودو أوف دويل Odo of Deuil وتجاهلتهما المصادر البيزنطية([٣٩])، وربما ذلك التجاهل كان الغرض منه الدفاع عن الإمبراطور البيزنطى وإبراز دوره الكبير فى تسهيل عملية مرور الجيش الألمانى وتوفير كافة احتياجاته، لكن أودو أوف دويل Odo of Deuil أوضح أن السفيرين البيزنطيين بناء على رغبة الإمبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين

([٣٧]) Deeds of John and Manuel pp.58-59. Kinnamos (John);
وانظر الترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨١.
CF: Grousset (Réne); op. cit, T.2, P.231.; Berry (Virginia.G); op. cit, p.484.

؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٨٨.

([٣٨]) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٠-٣١١.
Choniates (Nicetas); op. cit, p.36.
; Kinnamos (John); op. cit, p.59.

(٣٩) يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٠-٨١.

وضعا شرطيين مهمين هما أن الملك الألمانى يجب ألا يستولى على أية مدينة أو حصن فى دولة الإمبراطور، أما الشرط الثانى: فهو إذا استولى الملك الألمانى على أية مدينة أو حصن من أيدى المسلمين فى الشرق، فعليه أن يسلمه للإمبراطور، لأنه يعود فى الأصل للسيطرة البيزنطية، ويتوجب أن يثبت هذا الاتفاق بيمين يقسمه الملك الألمانى والنبلاء(٤٠).

وهنا يعلق أودو أوف دويل على هذين الشرطين، بالقول بإن الشرط الأول بدا معقولاً جدًا، أما فيما يتعلق بالشرط الثانى، فأصبح مطروحًا للنقاش، فمنهم من ذكر: أن الإمبراطور البيزنطى إذا ما حاول استرداد ممتلكاته من المسلمين فعليه أن يستردها بنفسه، إما بالشراء أو التفاوض أو بالقوة، لا يجوز له أخذها منا إذا ما استولينا عليها بشكل من الأشكال، ومضى آخرون إلى القول: أنه على الإمبراطور البيزنطى أن يحدد ممتلكاته، وهكذا فإن الصراع فى المستقبل لا يمكن أن يثار حول اتفاق أو قول غير محدد"(٤١).

وعندئذ لم يجد الملك الألمانى بدا من الموافقة على تلك الشروط، للمرور عبر الأراضى البيزنطية فى البلقان، خاصة وأن السفيرين ذكرا أنه فى حالة تأخير الموافقة وأداء القسم، فإنهما يخشون من قيام الإمبراطور البيزنطى بإحراق الأطعمة وبقية أنواع المؤن وتدمير التحصينات على سبيل الحيطة(٤٢). فأقسم كونراد وكبار قادة الفيالق الألمانية على أنهم لن يدخلوا الأراضي البيزنطية فى البلقان لإلحاق الأذى بأهلها، وإنما للإيقاع بالمسلمين(٤٣)، وأكدوا أنهم سوف ينفذون شروط الاتفاق عن طيب خاطر منهم(٤٤)، ومقابل ذلك وعد

(٤٠) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١٠.
(٤١) نفسه.
(٤٢) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣١١.
(٤٣) Kinnamos (John); op. cit, PP. 58 – 59.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨١.
Cf : Berry (Virginia . G); op. cit, p. 484. ; Grousset (Réne); op. cit T. 2, p. 231.
(٤٤) Kinnamos (John) ; op. cit, pp. 59 – 60.
والترجمة العربية، يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨١.

الرسل البيزنطيون الألمان بإمدادهم بالمؤن خلال عبور الجيش الألمانى بأرض البلقان والعاصمة الإمبراطورية([٤٥]).

والسؤال هنا: هل التزم الألمان أثناء عبورهم الأراضى البيزنطية فى البلقان بنصوص هذا الاتفاق؟ وهل استطاعت الإدارة البيزنطية تنفيذ ما وعدت به من خلال سفرائها بتوفير المؤن وفتح الأسواق أمام الألمان؟

من الواضح أن مهمة السفراء قد انتهت عند هذا الحد وبقى أثرها، حيث أنه من المعلوم أنه وبعد عقد الاتفاق بين البيزنطيين والألمان، فإن الجيش الألمانى استمر في تحركه مجتازًا مملكة المجر من منتصف يونيو إلى ٢٠ يوليو عام ١١٤٧م([٤٦])، حتى دخل إلى الأراضى البيزنطية عند مدينة بلجراد Belgrade([٤٧])، وكان الإمبراطور البيزنطي مانويل قد اتخذ عدة إجراءات فور علمه بوجود الألمان جنوب نهر الدانوب وبالتحديد عند برانشيفو Branichevo (براندیزي) - مدينة تقع بين بلجراد ونيش- حيث عمل على إرسال عدد كبير من موظفيه - كان على رأسهم ميخائيل أكسيركسيسMichael Xerexey([٤٨])- أقاموا على جانبي النهر ليخففوا من حمولة الجنود الألمان في

---

(٤٥) " Manuel: letter to the pope Eugenius 111." In : Jean (Michel) and Brial (Joseph); Recueil, vol. 15, P. 441. ; Kinnamos (John); op. cit, p. 60.
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨١ .
CF: Chalandon (F); Jean, ll, P. 271. ; Berry (Virginia. G.); op, cit. P. 484; Grousset (Réne) ; op. cit, T.2, P. 231.
؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٨٨؛ زبيده محمد عطا، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م) ط١، ص ٥٠؛ عادل عبد الحافظ، العلاقات، ص ٥٥ .

(٤٦) أودو أوف دويل ، مصدر سابق ، ص ٣١٥ـ ٣١٦ .
Cf: Kinnamos (John) ; op. cit, p.60.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، مصدر سابق، ص ٨٢ .
CF: Dölger (Franz) ; op, cit, Vol.1. pp.38-39.
؛ اسحق عبيد ، روما ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ؛ عادل عبد الحافظ ، العلاقات، ص ٥٠.

(٤٧) روجر أوف ويندوفر، مصدر سابق، ج١ ، ص ١٦٤.

(٤٨) ميخائيل اكسيركسيس Michael Xerexey : هو أحد رجال الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين Manuel 1 Comnenus وكان قد أرسله لمساعده الملك الألماني كونراد الثالث Conrad 111 على عبور نهر الدانوب عند برانشيفو Branichevo البلغارية . انظر :

كل سفينة عن طريق نقلهم إلى مراكب صغيرة كان ميخائيل قد أعدها لهذا(٤٩)، وكذلك مراقبة تحركات الألمان عن كثب(٥٠).

وهنا يبدو أن الإمبراطور مانويل كان شديد الحرص على متابعة الألمان منذ دخولهم أراضي البلقان حتى يكونوا تحت ناظريه، ومنعهم من أي اعتداءات قد يقومون بها ضد شعبه، وخاصة أن أعداد الألمان كانت كثيرة(٥١). ومن مدينة بلجراد Belgrade وحتى نظيرتها نيش Nich لم يصادف الألمان أية صعوبات أو مشاكل في التمويل. وليس أدل على ذلك من أنهم عندما وصلوا إلى مدينة نيش، فإن حاكم المدينة والإقليم البيزنطى فى البلقان ميخائيل براناس Michael Branas قدم لهم الطعام الذي سبق تخزينه استعداداً لوصولهم، وكل ما يحتاجه الجيش الألماني كذلك في طريقه بناءً على أوامر العاهل البيزنطي مانويل(٥٢).

ومن خلال هذا يتضح أنه لم يكن ثمة صدام قد وقع بين الألمان وشعوب البلقان أثناء تلك الرحلة من بلجراد وحتى نيش، ويبدو أن سبب ذلك يعود لا إلى توافر المؤن والإمدادات للجيش الألمانى بالأراضي البيزنطية فى البلقان فقط، وإنما لحرص كونراد Conrad وجنوده على النظام والسير بدون إحداث شغب أو نهب وسلب قد يؤدي إلى الوقيعة وتطاول البيزنطيين عليهم. وقد جاء في

Kinnamos (John); op. cit, P.60.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٢؛ عادل عبد الحافظ، العلاقات، ص ٥٥ .

(٤٩) Kinnamos (John); op. cit, pp.60-61.
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .
(٣٩) اسحق عبيد ، روما، ص ١٨٩ .

(٥٠) Kinnamos (John); op. cit, pp. 60-61.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٢؛ روجر أوف ويندوفر، مصدر سابق ، ج١، ص ١٦٤.

(٥١) Kinnamos (John) ; op. cit, pp. 60-61.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٢ .
CF: Groussed (Réne); op. cit, T.2, p.231.
؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٨٩ ؛ عادل عبد الحافظ، العلاقات، ص ٥٥ ؛ محمد عدلي سليمان، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٥٢) " Conrad 111 : To wibald; Abbot of corvey " in : Munro (Danac);
Letters of the crusaders, translation and reprints from the Original Sources of eurapean History, Vol. 1 (philadelphia, 1896) pp.12-14, in: internet medieval source Book, in: WWW.yahoo. Com.

رسالة بعث بها الملك كونراد الثالث إلى ويبالد Wibald رئيس دير ستافيلوت Staviflot ما يبين أن الشعوب البيزنطية لم يتحرشوا برجال الحملة الألمان عندما دخلوا الأراضي الإمبراطورية إذ جاء فيها ما نصه: "إنك لتبتهج كثيرًا عندما تسمع عن الحالة الطيبة التي نعمنا بها وجيشنا طول الطريق الذي سرنا فيه عبر الأراضي الإمبراطورية، إذ حصلنا على كمية كبيرة من المؤن والضروريات اللازمة لرحلتنا وكذلك الغذاء للخيول، وكان ذلك تحت توجيه الأدلاء الذين أرشدونا للطريق"([٥٣]).

وهكذا تابع الجيش الألماني سيره بأمان حتى وصل إلى مدينة صوفيا Sofia، وأثناء الطريق من نيش وحتى صوفيا لم يحدث أيضًا ما يعكر صفو سير القوات الألمانية عبر أراضي البلقان([٥٤]). ويرجع بعض المؤرخين عدم حدوث اشتباكات بين الألمان وبين أهل البلاد من نيش وحتى صوفيا إلى أن الألمان كانوا يسيرون بأرض البلقان من خلال منطقة جبلية صعبة؛ ولأنهم عوملوا في المدن التي مروا عبرها معاملة حسنة وحصلوا على مؤن وفيرة([٥٥]). وهذا ما أكده البعض بالقول: "إن المنطقة الواقعة بين أسفل نهر الدانوب وصوفيا Sofia هي منطقة مليئة بالجبال الشامخة الواعرة العسيرة العبور، وبرغم هذا تقدم الألمان بها في هدوء، ولم يقع منهم ما يصيب رعايا الإمبراطور البيزنطي فى البلقان"([٥٦]). وأيًا ما كان الأمر فعندما بلغ الألمان مدينة صوفيا، فإنهم وجدوا في استقبالهم اثنين من

([٥٣]) Ibid.

([٥٤]) Kinnamos(John) ; op. cit, p. 60.
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .
CF: Grousset (Réne); op. cit, T.2 p.231. ; Berry (Virginia. G.); op. cit, p.484.

([٥٥]) Kinnamos (John); op. cit, p. 61.
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٢ - ٨٣ .
CF: Grousset (Réne); op. cit, T.2, p.232. ; Berry (Virginia. G.); op. cit, p. 484.
؛ اسحق عبيد ، روما ، ص ١٨٩ .

([٥٦]) Kinnamos(John); op. cit, p. 60.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣ .
CF: Berry (Virginia. G); op. cit, p.484. ; Groussed (Réne); op. cit, T.2 P.231.

رجال الأرستقراطية البيزنطية هما ميخائيل سباستوس Michael Spastos([٥٧])، وهو من عائلة باليولوجوس Paleologue والثاني كان يشغل منصب كارتوليريوس Chartularius بالبلاط البيزنطي([٥٨])- لم تذكر لنا المصادر اسمه- وهناك زودوا الجيش الألماني بالمؤن([٥٩]). بيد أن الجنود الألمان ما لبثوا أن أطلقوا لأنفسهم وملذاتهم العنان بعد ما خرجوا من صوفيا Sofia، ودخولهم للمنطقة السهلية، حيث قاموا بالهجوم على الأسواق، فنهبوا وسلبوا ما وسعتهم أيديهم، واستولوا على بضائع الأهالي الذين كانوا قد عرضوها للبيع دون أن يدفعوا ثمنها، كما أنهم قتلوا كل من تعرض لهم أو احتج مانعاً إياهم من هذا العمل الشنيع([٦٠])، حيث ذكر أودود أوف دويل: "أن الألمان حينما وصلوا إلى السهول التي تلي العوائق في إقليم داشيا فإنهم بدءوا يظهرون نيتهم الشريرة، واستعملوا قوتهم

([٥٧]) ميخائيل سباستوس Michael Spastos: شخصية أرستقراطية من عائلة باليولوجوس Paleologue تميز بزكاءه الحاد، وأنه كان خبيراً في كافة الشئون، وقد غضب عليه الإمبراطور يوحنا الثاني كومنين من قبل ففناه خارج العاصمة البيزنطية، وعندما ولى الإمبراطور مانويل مقاليد الأمور بالإمبراطورية البيزنطية استدعاه، وجعله في خدمته. انظر:
Kinnamos (John); op. cit, p. 61.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٢.

([٥٨]) هي شخصية لم تذكرها المصادر المعاصرة، وكل ما عرف عنه أنه كان يشغل منصب كارتوليريوس Chartalarius أي رئيس مكتب الأرشيف في الإدارة المالية أو ما عرف بديوان الإنشاء عند المسلمين، وكان قد حظى من جانب الإمبراطور يوحنا الثاني كومنين John 11 Comnenus برعاية كبيرة أهلته إلى أن يعتمد عليه في إعلان ابنه مانويل الأول Manuel 1 إمبراطورًا على البلاد، بعد وفاة ابنه الأكبر ألكسيوس Alexius ومن يومها ولى هذه الشخصية كحاكم على مدينة صوفيا Sofia. انظر:
Kinnamos (John); op. cit, p. 61
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق ، ص ٨٣.

(٥٩) Kinnamos (John); op. cit, pp. 62. ؛ والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣.
Grousset (Réne); op. cit, T.2 .p.231 Berry (Virginia. G) ;op. cit, p.484. ;

([٦٠]) Kinnamos (John); op. cit, pp. 62. ؛ والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣.
Grousset (Réne); op. cit, T.2 : CF: Berry (Virginia. G) ;op. cit, p.484. .p.231.

الغاشمة ضد هؤلاء الذين عرضوا بضائعهم للبيع في الأسواق وإذا قاومهم أحد جعلوه ضحية لسيوفهم"([٦١]).

لكن ما السبب الذي دفع بالألمان إلى أن يقوموا بهذا العمل برغم ما لقوه من معاملة كريمة، وبرغم ما توفر لهم من مؤونة على طول الطريق من بلجراد Belgrade وحتى صوفيا ؟!.

يبدو أن الألمان قد استنفدوا كثيراً من مؤنهم التي حرصت الإدارة البيزنطية إمدادهم بها خلال الطريق في بلجراد ثم نيش Nich، ولما كانت المنطقة من نيش وحتى صوفيا منطقه جبلية وعرة([٦٢])، فقد أعيت الألمان وأفقدتهم الكثير وجعلتهم متعطشين للحصول على ما يلزمهم بأية صورة كانت، حتى أنه برغم ما توفر لديهم بمدينة صوفيا([٦٣])، إلا أنه من الواضح أن كل تلك المؤونة لم تجد معهم؛ نظراً لكثرتهم، وقد أرجع البعض أن سبب نهب الألمان وتعديهم على الشعوب البيزنطية فى البقان هو أنهم لم يحصلوا على ما يكفيهم من المؤن والمرشدين، للشك الذي انتاب الاثنين معًا([٦٤]).

([٦١]) أودو أوف دويل ، مصدر سابق، ص ٣٢٤

Kinnamos (op. cit, pp.61-62 John);

والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣.

CF: Berry (Virginia. G); op. cit, p.485.

وكذلك: اسحق عبيد ، روما ، ص ١٨٩.

([٦٢]) Kinnamos (John), op. cit, p.61.

والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣ ؛ اسحق عبيد ، روما ، ص ١٨٩ .

([٦٣]) Kinnamos (John); op. cit, p.61.

والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣.

CF: Berry (Virginia. G); op. cit, p. 481. Grousset (Réne); op. cit, T.2, P. 231.

([٦٤]) Kinnamos (John); op. cit, p.61.

والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق ، ص ٨٣.

CF: Berry (Virginia. G); op cit, p. 481. Grousset (Réne); op. cit T.2 P. 231.

؛ اسحق عبيد، روما ، ص ١٨٩.

غير أنه يمكن القول: إن الألمان منذ أن دخلوا الأراضي البيزنطية فى البلقان فإنهم وجدوا العون والإمداد على طول الطريق من الحكومة البيزنطية، ولكن أي مؤونة وأية طريق كانت ستكفي كل هذه الأعداد(٦٥)؟! .

إذن الجيش الألماني قد حصل على الكثير من المؤن والحاجيات، لكن بالمقارنة بالحجم الهائل للألمان فإنها تعتبر قليلة، لهذا بادر الألمان بالهجوم على الأراضي البيزنطية فى البلقان لسد رمقهم(٦٦). ويتبين لنا كذلك أن احتواء الجيش الألماني على فئات العبيد وقطاع الطرق والمفلسين قد أفزعت الأهالى في الأسواق، مما دفعهم إلى حجب بضائعهم عن الألمان، فألهب هذا شعور الألمان بالثورة والغضب، فقاموا بنهب الأسواق وسرقة بضائع الناس، ومن تقدم معترضاً قوبل من جانب الألمان بالإهانة وضربات الحراب(٦٧).

وقد وصف نيقتاس خونياتس (Nicetas) Choniates مسيرة الجيش الألماني داخل الأراضي البيزنطية فى البلقان بأنها كانت مثل عبور معجزة أليمة من كبد السماء(٦٨). هذا في الوقت الذي اتضح فيه أن كونراد الثالث Conrad111 لم يتمكن من السيطرة على المشاغبين بجيشه(٦٩)، حتى أنه حدث بإحدى الحانات على أطراف مدينة فيليبوبوليس Philippopolis أن عرج للراحة والشراب جماعة من الألمان، وبينما هم يمرحون، دخل الحانة أحد "الحواة" وطلب قدحاً من الخمر راح يحتسيه، وبعد قليل أخرج الرجل من جيب سترته الداخلية ثعباناً ووضعه على الأرض، وراح يمارس ألاعيبه بقصد الفكاهة والمداعبة، على أن الألمان قطعوه إرباً بسيوفهم وصاحوا في صوت واحد بأن البيزنطيين قد عزموا على قتلهم بالسم الزعاف(٧٠). وقد وردت هذه الحادثة في مؤلف أودو أوف دويل Odo of Deuil في صدر تعرضه بمسلك الألمان، لا حباً وعطفاً على البيزنطيين وإنما لتصوير غلظتهم وعجرفتهم، وقد وصل الأمر

(٦٥) عادل عبد الحافظ حمزة ، العلاقات، ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٦٦) أوتو أوف فريزنغ ، أعمال فردريك بربروسا، ص ٣٥٦.
(٦٧) 61. Kinnamos (John); op. cit, P.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٨٩ .
(٦٨) Ocity of Byzantium, P. 38
(٦٩) Kinnamos (John); op. cit, P. 61 .
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٨٩.
(٧٠) أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣٢٠ .

إلى إندلاع نزاع بين السكان والألمان، حيث قال:" عجت المدينة بالفوضى فى ضواحيها وانطلق الحالكم مع لفيف من رجاله خارج الأسوار وهم عزل من السلاح، ولكن باندفاع، بغية تهدئه الجمهور الهائج. وما أن رأى الألمان ذلك وأعينهم تشع بالغضب –بعدما أخذت الخمرة منهم كل مأخذ- ورأوا الناس يندفعون من كل حدب وصوب، ولم تكن المشكلة هى هل يحمل الناس سلاحهم، بل فى اندفاعهم الشديد، إنقض الألمان على الذين اقتربوا منهم، لأنهم خيل إليهم أنهم قدموا للانتقام لجريمة القتل، وهنا عاد الأغريق (البيزنطيين) زرافات إلى المدينة، فأخذوا أسلحتهم، وحملوا قسيهم (لأنها كانت سلاحهم الرئيسى) واندفعوا على الفور نحو الألمان، فقتلوا كل من صادفوه، وجرحوا من حاول الفرار، ولم يتوقفوا حتى طردوا جميع الألمان من داخل المستوطنة، ولقى العديد من الألمان حتفهم هناك، سيما أولئك الذين كانوا قد التجئوا إلى الخانات، لكى يحموا أموالهم فى الكهوف، وعندما استرد أولئك الذين نجوا رباطة جأشهم، حملوا السلاح ثانية، وتجمعوا لينتقموا للعار الذى نزل بهم، ولمذبحة رفاقهم، وقاموا بحرق كل شيئ تقريبًا كان خارج الأسوار"([٧١]). غير أن الأمور عادت إلى نصابها بعدما تدخل ميخائيل أتاليكوس Michael Italikos رئيس أساقفة فيليبوبوليس الذي طلب من الملك الألماني كونراد الثالث مراعاة حرمة البلاد، ومعاقبة الجنود الذين تسببوا في هذه الفوضى([٧٢]).

وكيفما كان الأمر، فعندما علم مانويل الأول كومنين بالجرائم التي ارتكبها الألمان ضد رعاياه العزل، أرسل فرقة عسكرية بقيادة بروسوش Prosouch للدفاع عن السكان شعبه، والحد من تلك الأعمال الوحشية للجنود الألمان ومراقبة الحملة الصليبية وأعمال أفرادها ومنعهم من التشرد على الطريق الذي يسافرون عليه([٧٣]). وبالفعل انقضت الكتائب البيزنطية والسكان من البيزنطيين

(٧١) أودو أوف دويل، نفس المصدر السابق، ص ٣٢١ .
(٧٢) أودو أوف دويل، نفس المصدر السابق، ص ٣٢٢ .
Cf ; Grousset (Réne); op. cit, T. 2, P. 231 ; Duggan (Alfred); op. cit. p.112.

؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٨٩.
([٧٣]) أود و أوف دويل، المصدر السابق، ص ٣٢٤ .
;Kinnamos (John);op. cit, P. 61.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣ .

على الجماعات التي أخذت على النهب والسلب وقاتلتها قتالاً مريراً، أسفر عن مقتل العديد من جنود الحملة الألمان([٧٤]). بيد أن الأمر لم ينته عند هذا الحد فما لبث أن وصل الجيش إلى مدينة أدرنة Adrina حتى تجدد النزاع مرة أخرى بين الألمانيين من ناحية، وسكان أدرنة من ناحية أخرى، وكان ذلك على إثر قيام أهل مدينة أدرنة بمهاجمة أحد الأديرة التي وجد فيها واحد من أقارب الملك كونراد الثالث الذي كان قد تركه بها للاستشفاء من مرض ألم به، فهمّ سكان المدينة بقتل الرجل وسرقة ما كان بحوزته من متاع ومال، مما دعي بفردريك السوابي Frederick ابن أخي الملك كونراد إلى العودة لمدينة أدرنة بعد أن تركها مدة يومين على الأكثر للانتقام لما أصاب رجله الألماني فأحرق الدير، وقتل الذين تم إلقاء القبض عليهم بعد أن قام بتحقيقات واسعة بشأن المبالغ المسروقة([٧٥])، وقد أشار يوحنا كيناموس إلى ملاحقة بروسوش Prosouch القائد البيزنطي لفردريك السوابي أثناء انسحابه من أدرنه ، وحدوث قتال بين الجيشين أسفر عن هزيمة فردريك([٧٦])، بينما لم يتعرض نيقتاس خونياتس Choniates (Nicetas) لهذا، وإنما ذكر أن لقاءً حميماً جمع بين كل من فردريك Frederick وبين بروسوش Prosouch أدى إلى إعادة السلام والهدوء بين الألمان والبيزنطيين(٧٧). ويلقى يوحنا كيناموس (John) Kinnamos اللوم على الألماني فردريك السوابي إذ عده هو السبب في إثارة هذا الشقاق بين الألمان

Cf : Berry (Virginia . G); op . cit, P. 485 .

([٧٤]) أود و أوف دويل، المصدر السابق، ص ٣٢٤ . Kinnamos (John); op. cit, 61 .
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣.

([٧٥]) أود و أوف دويل، المصدر السابق، ص ٣٢٤.
Kinnamos (John); op. cit, 61 .
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٣-٨٤ .
CF: Choniates (Nicetas); op. cit, P.37 .

([٧٦]) Deeds of John and Manuel Comnenus, P. 61.
والترجمة العربية: يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٤؛ أودو أوف دويل، المصدر السابق، ص ٣٢٤.

([٧٧]) O city of Byzantium, P. 37

والبيزنطيين عند أدرنة([٧٨])، بينما يتهم البعض الآخر أهل أدرنة باعتبارهم هم من قتل رجل كونراد الثالث([٧٩]).

لكن الواضح أن الأمر لا يتعلق بهذا فقط، إنما يعود إلى العلاقات المضطربة والخوف والقلق الذي أصاب الألمان والشعوب البيزنطية فى البلقان كل على حدة فالأخيرين لا يأمنون جانب الألمان لما أصابهم من قبل على يد رجالات الحملة الأولى. أما الألمان فانتابهم الفزع لئلا يقعوا فريسه بين أنياب الشعوب البيزنطية فى البلقان؛ نظراً لأنهم في بلاد واسعة ويجهلون طرقها وتضاريسها([٨٠])؛ وليس أدل على ذلك من الخطاب الذي أرسله الملك الألماني كونراد Conrad إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل Manuel يشرح فيه موقفه من تجاوزات جنوده الألمان ويبرر ساحته لدى البلاط البيزنطي، وقد جاء فيه ما نصه: "لا تنسب إلينا الضرر الذي حدث مؤخراً في أراضيك من جانب العامة في جيشنا، ولا تغضب لهذا السبب، لأننا أنفسنا لم نقترف هذه التصرفات لكن مبعثها كل الغوغاء الذين اندفعوا وراء شهواتهم، لقد كانوا ماهرين في اقتراف هذه التصرفات بناءً على رغبتهم الشخصية، حينما يكون هناك في أي مكان جيشاً من الأجانب والغرباء، يطوف ويتجول، فإن بعضاً منهم يحاول اكتشاف الإقليم، والبعض الآخر يجمع المؤن الضرورية، واعتقد أنه من غير المعقول أن يكون الشر قد خطر على بال أي يد امتدت بالأذى"([٨١]). وعلى أية حال، فقد جمع الجنود الألمان قواتهم بعدما أصابتهم الأمطار الغزيرة بالعديد من الخسائر في الرجال والمؤن والأسلحة وتقدموا نحو العاصمة الإمبراطورية راجين الوصول إلى أرض القدس الشريف(٨٢).

---

(٧٨) Deeds of John and Manuel Comnenus, P. 61 .

(٧٩) Grousset (Réne) ; op. cit, T. 2 P. 231. ; Berry (Virginia. G); op. cit, PP . 484 – 485.

(٨٠) Choniates (Nicetas); op. cit, P. 36 .

(٨١) Kinnamos (John); op. cit, P. 64 .
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٨٢) Kinnamos (John) ; op. cit, P. 63.
والترجمة العربية : يوحنا كيناموس، المصدر السابق، ص ٨٦ .
CF : Choniates (Nicetas); op. cit, pp. 37 – 38 .
؛ أودو أوف دويل، مصدر سابق، ص ٣٢٥- ٣٢٦؛ وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٧٠ .

ومن هنا يتضح أن الألمان قد نقضوا ما اتفقوا وأقسموا عليه أمام السفراء، وأحدثوا المشكلات على الأراضى البيزنطية فى البلقان ما أثارت حفيظة البيزنطى مانويل الأول كومنين، وجعلته لا يهتم ببنود الاتفاق، ولكن حرص كل الحرص على التخلص من كل تلك القوات الألمانية القابعة بأراضيه، وهذا ما أكده أودو أوف دويل بالقول: "إن الإمبراطور الألمانى عندما تلقى دليلاً للرحلة من الإمبراطور الإغريقى (البيزنطى) مضى فى طريقه"(٨٣). ويعطينًا أودو احتمالا أخر، وهو أن كونراد الثالث ربما رأى أن إمكانياته لا تسمح له بالقيام بأى عمل ضاغط على العاصمة البيزنطية، وأنه مل من مهمة المشاركة فى الحروب الصليبية، لذلك تعجل العبور إلى البر الآسيوى ليقضى مهمته(٨٤).

الخاتمة

فى ضوء ما سبق عرضه يمكن القول:

- **إن سفارة سفارة ديمتريوس ماكريمبوليتس وألكسندر من جرافينا تعد واحدة من أهم السفارات التى تم تبادلها بين الملك الألمانى كونراد الثالث والإمبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين عام ١١٤٧م، وذلك نظرًا لخطورة وجود القوات الألمانية على الحدود بيزنطة الشمالية.**
- **تبين من البحث أن رواية المؤرخ الفرنسى أودو أوف دويل كانت من الروايات المهمة التى أشارت لتلك السفارة، وليس هذا فحسب بل وإلى أثارها وما ترتب عليها من علاقات سواء دبلوماسية أو عسكرية بين الألمان والبيزنطيين.**
- **ظهر كذلك أن هذه السفارة كشفت عن طبيعة العلاقات الألمانية البيزنطية، وإلى أى مدى كانت ضعيفة برغم علاقات المصاهرة التى جمعت بين الدولتين.**

Cf : Berry (Virginia . G); op. cit, pp. 485 – 486 . ; Michaud (M.); op. cit, T. 1 , pp .380 – 381. ; Archer (T.A.); The crusades, The story of the kingdom of Jerusalem (London , 1894)., P. 212.

؛ اسحق عبيد، روما، ص ١٩١؛ عادل عبد الحافظ، العلاقات السياسية، ص ٥٦.

(٨٣) أودو أوف دويل، المصدر السابق، ص ٣٢٦.

(٨٤) نفسه.

- أظهرت الدراسة كذلك مدى الكره الشديد الذى يكنه الجانبان لبعضهما البعض.
- تبين أيضًا أن اهتمام أودو أوف دويل بهذه السفارة والعلاقات الألمانية البيزنطية، ليس من قبيل الصدفة ولكن له دوافعه، وهى أن السفارة البيزنطية هى نفسها تلك السفارة التى تم ارسالها إلى الملك الفرنسى لويس السابع. هذا إلى جانب اعجاب أودو بالملك الألمانى.

- وضح من البحث أن العلاقة بين الألمان والبيزنطيين وإن بدت دبلوماسية فى أولها، إلا أنها اتخذت جانبًا عسكريًا فى آخرها، نتيجة للتصرفات المشينة للجيش الألمانى بالأراضى البيزنطية فى البلقان.
- تبين أن التحرك الألمانى الضخم قد أفزع البيزنطى مانويل، لهذا فقد وجه تلك السفارة إلى كونراد الثالث ليكشف عن طبيعة هذه الأعداد الضخمة لجيشه، وليضمن سيرة عبر أراضيه دون أن يتسبب فى صدام بين الجانبين، فى مقابل التعهد بتوفير كافة المؤن اللازمة لهذا العبور.
- ظهر من البحث أن ما حملته السفارة البيزنطية لم يكن فقط لكشف عن طبيعة التحرك الألمانى تجاه الشرق ونوايا الألمان، وأخذ المواثيق والعهود بعدم الاضرار بمصالح البيزنطيين فى البلقان، وإنما حملت أيضا بنودا اعتبرها البعض مجحفة للألمان، تقضى بعدم الاستيلاء على أية مدن أو حصون تابعة للبيزنطى مانويل، وكذلك تسليم كافة الآراضى أو المدن والحصون التى يستولى عليها الألمان من المسلمين فى الشرق، باعتبار أنها ممتاكات بيزنطية.
- تبين من الدراسة أنه على الرغم من صعوبة تقبل الألمان للشرط الأخير من بنود هذا الاتفاق، إلا أنهم وافقوا على ما جاءت به تلك السفارة؛ نظرًا لأنها كانت تحمل الحل الوحيد حتى يمكن للألمان عبور الأراضى البيزنطية فى البلقان بأمان، ودون أضرار قد تعيق تقدمهم نحو الشرق. لكن أثبتت التجربة أن بنود هذه السفارة وما حملته من بنود أقسم عليها الألمان صارت مع الوقت - وتبعًا لما أحدثه الألمان من أضرار للجانب البيزنطى - حبرًا على ورق، وأصبحت مسألة التخلص من كل

تلك القوات الضخمة للألمان هى الشغل الشاغل للبيزنطى مانويل الأول كومنين، حتى ولو وصل الأمر إلى هزيمتهم وقتلهم جميعًا على أيدى المسلمين فى الشرق.

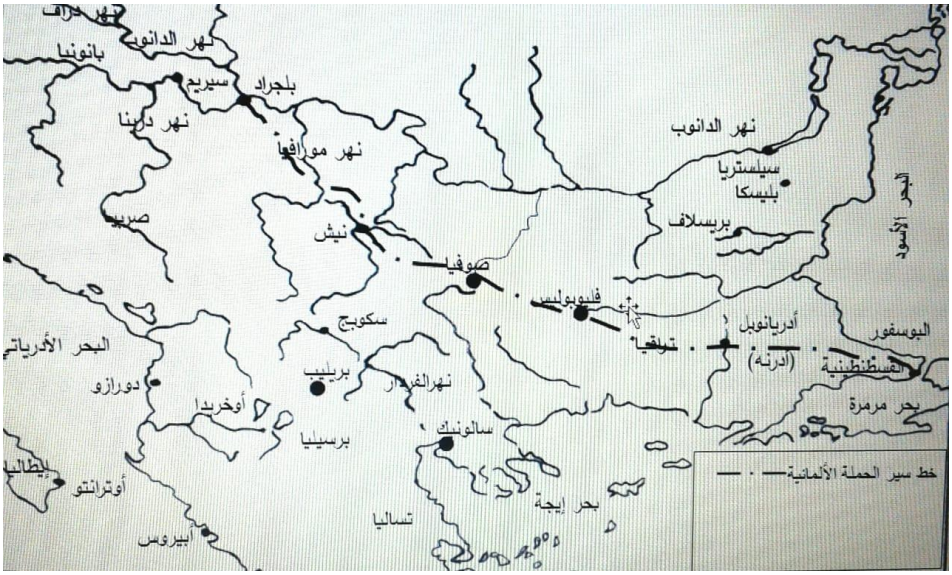

خريطة تبين خط سير الحملة الألمانية عبر الأراضى البيزنطية فى البلقان عام ١١٤٧م

والأصل نقلاً عن: أودو أوف دويل، رحلة لويس السابع، ص ٣٩٧.